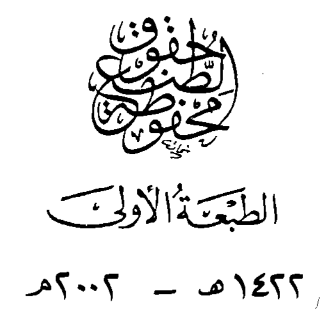


وبيان اقتران التهليل بالتكبير والتسبيح بالتحميد

تأليف
شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق
أبي محمد أشرف بن عبد المقصود

أضواء السلف



الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزبي

الرياض - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ - جوال ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

تطلب منشوراتنا من :

مكتبة الإمام البخاري - مصر - الاسماعيلية - ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤

فؤاد حسن كاملي

قاعدةٌ حسنةٌ في

الباقيات الصالحات

وبيان اقتران التهليل بالتكبير والتسبيح بالتحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقدمة التحقيق

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ نَحْمده ونستعينه ونستغفره ، ونَعُوذُ باللَّه من شُرُور أَنْفُسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يهدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أنْ لا إله إلّا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله . **أما بعد** :

فهذا سِفْرٌ جديدٌ ومُؤَلَّف نفيس **يُنْشَر لأول مرة** ، للعلامة القرآني والمجاهد الرَّبَّاني ، شيخ الإسلام والمسلمين أبي العباس أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، نُقَدِّمه للذَّاكِرين والذَّاكِرَات عَسَىٰ أن يجدوا فيه ما يجلب لهم الطُّمأنينة والسَّكِينة ونُزُول الرَّحْمَة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

ويأتي « التَّسْبيح والتَّحْمِيد والتَّهْليل والتَّكْبِير » على رأس ذكر اللَّه ؛ فهو من أجلِّ منازل الذِّكر ومراتبها العالية .

فهو غِرَاس الجَنَّة الذي طَلَبَ نبي الله إبرهيم الخليل من نبينا ﷺ أن يخبرنا به ليلة أُسْرِيَ به ؛ بقوله : « يا مُحَمَّدُ ! أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلام وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجنَّة طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ المَاء ، وَأَنَّها قِيعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا :

سُبْحَانَ اللَّهِ ، والـحَمْدُ للَّهِ ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أَكْبَرُ »[١] .

جَلَسَ عبد اللَّه بن عمرو وابن مسعود رضي الله عنهم ، فقال ابن مسعود : « لأَنْ أَخُذَ في طَرِيقٍ أَقُولُ فيه : سُبْحَانَ اللَّه والحَمْدُ للَّهِ ولا إله إلا اللَّه واللَّه أَكْبَرُ » أَحبَّ إليَّ من أن أُنْفِقَ عَدَدَهُنَّ دَنَانِير في سَبِيل اللَّه عز وجل ، فقال عبد اللَّه بن عمرو : « لأَنْ آخُذَ في طَرِيقٍ فأقولهن أَحبَّ إليَّ من أن أَحْمِلَ عَدَدَهُنَّ عَلَىٰ الخيلِ في سبيل اللَّه »[٢] .

ويقول عُبيد بن عُمَير رَحِمَهُ اللَّهُ : « تَسْبِيحةٌ بِحَمْدِ اللَّهِ في صَحِيفةِ المُؤْمِن خَيْرٌ مِن أَنْ تَسِير أَوْ تَسِيل مَعَهُ جِبَال الدُّنيا ذَهَبًا »[٣] .

وأما تحقيق نسبة الكتاب للمؤلف :

* فقد أشار المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ إليه عند كلامه على نفس المسألة ؛ حيث يقول : « وقد بسطنا الكلام على حقيقة التَّسبيح والتَّحْميد ومعنى التسبيح بحمده في غير هذا الموضع »[٤] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٢) وغيره من حديث ابن مسعود وقال « حسن غريب » ؛ وإسناده ضعيف إلا أن له شواهد تُقَوِّيه ، ولذا أورده الألباني في « الصحيحة » (١٠٥) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦ / ٩٢) بإسناد حسن .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦ / ٥٥ ، ٧ / ١٦٨) قال : حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عنه وإسناده صحيح .

(٤) « منهاج السنة النبوية » (٥ / ١٠٥) .

وهذا الموضع الآخر هو كتابنا هذا .

* وقد ذكر هذه القاعدة ابن رشيق رحمه الله بعنوان : « **قاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل** »[١] .

* وبنفس هذا العنوان ذكره العلامة ابن عبد الهادي رحمه الله .[٢] .

وهذا العنوان قريب جدا مما جاء بعنوان المخطوطة « **قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات وبيان اقتران التهليل بالتكبير والتسبيح بالتحميد** » وهو ما اعتمدته هنا ؛ لأنه أَدَلّ على المحتوى .

والناظر في كلام شيخ الإسلام على هذه القاعدة في مواضع أخرى من كتبه[٣] يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك تطابقه مع ما جاء بكتابنا هذا .

وصف النسخة :

فقد اعتمدت على نسخةٍ وحيدةٍ ، تقع ضمن « مجموع » يضم عدة رسائل لشيخ الإسلام ، وهو مقتنيات « خزانة رئيس الكتاب » الملحقة بـ « السليمانية » بتركيا وهي تحت رقم (١١٥٣) .

---

(١) « أسماء مؤلفات ابن تيمية ـ ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام » (٢٤٢) .

(٢) « العقود الدرية » (٥٩) .

(٣) راجع : « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٢٥٢ ـ ٢٥٤) و (١٦ / ١١٢ ـ ١١٨) و (٢٢ / ٥٥٠ ، ٥٥١) .

وتقع هذه النُّسخة في ٧ ورقات من هذا المجموع ، وهي تمثل الورقات من (١٨٢و) إلى (١٨٧ظ) وكل صفحة بها ٢٣ سطرًا .

وفي كل سطر ما يقرب من ١٥ كلمة ، وهي مكتوبة بخط واضح جميل منقوط ، وقليلة الأخطاء .

وأما عملنا في التحقيق :

* فقد اتخذت هذه النسخة أصلًا .

* كما قُمْتُ بضبط فَقَرات الكتاب كلها ، ونسَّقت عباراتها ورقَّمت فقراتها برقم مُسَلسل ووضعت لها عناوين جانبية .

* كما قمت بعزو الآيات ووضع العزو بجوار الآيات ، وخرجت الأحاديث والآثار وبينت مرتبتها من حيث القبول والرَّد .

* كما وضعت بعض التعليقات المهمة وأكثرها من كلام شيخ الإسلام من كتبه الأخرى ، وبعض المصادر الأخرى .

* كما صنعت له فهارس للآيات والأحاديث والآثار والموضوعات .

والله تعالى أسأل أن يجعل عَمَلي هذا خالصًا لوجهه ، وأن يتولانا في الدُّنيا والآخرة ، إنَّه سميعٌ مُجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الإسماعيلية في ١١ محرم ١٤٢٢ هـ

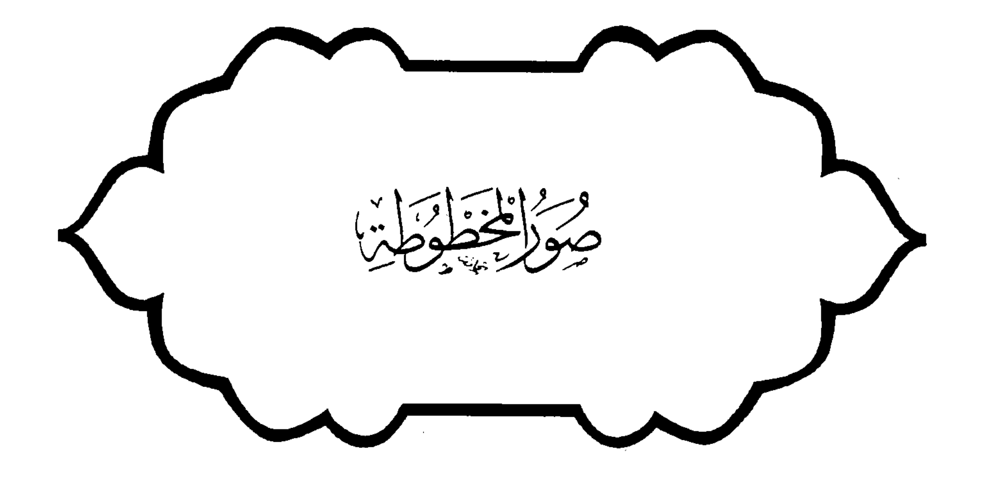
أبو محمد أشرف بن عبد المقصود
غفر الله له

بسم الله الرحمن الرحيم

والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا

الكهف : ٤٦




صور المخطوطة

١٨٢

قاعدة حسنة في الباقيات
الصالحات وبيان اقتران التهليل
بالتكبير والتسبيح بالتحميد
من تاليف شيخ الإسلام
ابن تيمية
رحمه الله
تعالى

صفحة العنوان لنسخة خزانة رئيس الكتاب الملحقة بالسليمانية برقم ١١٥٣

صورة الورقة الأولى لنسخة خزانة رئيس الكتاب الملحقة بالسليمانية برقم ١١٥٣

فالصلاة تسبيح بحمد ربه كما بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقد فسر طائفة من السلف قوله فسبح بحمد ربك
حين تقوم بالتسبيح بالكلام وذكروا أنواعا التسبيح عند افتتاح الصلوة والتسبيح عند القيام
من المجلس فروى ابن أبي حاتم عن سفيان عن أبي إسحق عن أبي الأحوص وسبح بحمد ربك حين تقوم قال إذا
أراد أن يقوم الرجل من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك هكذا رواه وكيع ورواه أبو نعيم وقبيصة
فقالا يقول سبحان الله وبحمده وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد حين تقوم قال من كل مجلس وعن طلحة
عن عطا حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيرا وإن كان غير ذلك كان هذا
كفارة له وقالت طائفة حين تقوم إلى الصلاة وكذلك قال الضحاك حين تقوم إلى الصلاة المفروضة
وكذلك قال ابن زيد إذا قام إلى الصلاة من ليل أو نهار وقد رواه جويبر عن الضحاك قال هو قول الرجل
إذا استفتح الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقال
أبو الجوزاء حين تقوم من منامك من فراشك وعلى هذا فهو أمر بالصلاة إذا قام من قائلة النهار
فهو أمر بصلاة الظهر والعصر وإدبار النجوم فسرها طائفة بركعتي الفجر وروى ابن عيينة عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد وإدبار النجوم قال ابن عباس هو التسبيح أدبار الصلاة ٥ قلت لعل هذا تفسير لقوله
وأدبار السجود فإنه أشبه وقد روي عن طائفة من السلف أن أدبار السجود الركعتان بعد المغرب
وإدبار النجوم ركعتا الفجر فإحداهما تشبه بالأخرى فقوله ومن الليل فسبحه وأدبار السجود
إذا فسر هذا بالتسبيح دبر الصلاة كان اللفظ دالا على هذا ٥ والسلف الذين فسروها بهذا
كأنهم والله أعلم أرادوا أن أول ما يكتب في صحيفة النهار ركعتا الفجر
وآخر ما يرفع ركعتا المغرب فقد روي أنهما ترفعان مع عمل النهار
قلت ولفظ التسبيح يتناول هذا كله
منه واجب ومنه مستحب ٥ آخره
والحمد لله وحده وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما
كمل

صورة الورقة الأخيرة لنسخة خزانة رئيس الكتاب الملحقة بالسليمانية برقم ١١٥٣



وبيان اقتران التهليل بالتكبير والتسبيح بالتحميد

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

أبي محمد أشرف بن عبد المقصود



/ ظ ١٨٢ /



الْحَمْدُ لِلَّهِ رب العالمين .

وصلَّى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين .

فصل

في الباقيات الصالحات

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

أفضل الكلام بعد القرآن

١ـ فقد ثبت في الصحيح(١) عن النبي ﷺ أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربعٌ ؛ وهُنَّ من القرآن : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ » .

---

(١) الذي في « صحيح مسلم » (٢١٣٧) (١٢) عن سَمُرة بن جُنْدَبٍ بلفظ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ .. » الحديث . وأما اللفظ الذي ذكره المصنف فهو عند أحمد (٥ / ٢٠) .
وقد صرح بتواتره المصنف ، كما في « الرد على المنطقيين » (٣٥) حيث قال : « وتواتر عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أمته ذكر الله تعالى بالجمل التامة » ثم ذكر الحديث .
وراجع أيضًا : مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٥٣) .

٢ـ وقد ذكرنا ما يتعلَّق بمعانيها في مواضع(١) .

٣ـ والمقصود هُنا أن نقول : « التَّسْبيح » مَقْرُون بـ « التَّحْمِيد » و « التهليل » مَقْرُون بـ « التكبير » .

التسبيح بحمده سبحانه في القرآن

٤ـ فإن اللَّه تعالى يذكر في غير موضع « **التسبيح بحمده** » :

٥ـ كقول « الملائكة » : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

٦ـ وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [غافر : ٧] .

٧ـ وقوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾[أ] [طه : ١٣٠]

٨ـ وقوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[أ] [الطور : ٤٨] .

الصلاة تتضمن التسبيح بحمده

٩ـ ولا ريب أن الصَّلاة الشَّرعية تتضمن ما أمر به من التَّسْبيح بحمده .

١٠ـ كما قد بيَّن النَّبي ﷺ ذلك في مثل حديث جرير المُتَّفق عليه(٢) :

---

(١) راجع : « مجموع الفتاوى » (١٢ / ٦٧ ، ١٦ / ١١٢ ، ١١٦ ، ١٧ / ١٦٩ ، ١٩ / ١٢٠ ، ٢٢ / ٣٨٩ ، ٢٤ / ٢٣١) .

(٢) البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) (٢١١) .

« **لَا تُضَامُونَ** » : بِضَمِّ أَوَّلِهِ مُخَفَّفًا ، أَيْ لَا يَحْصُلُ لكُمْ ضَيْمٌ حِينَئِذٍ ، وَرُوِي بفتح أوله والتشديد من الضَّمِّ ، والمراد : نَفْيُ الازْدِحَام .

[أ] في الأصل في بداية الآيتين : (فسبح) بدل ﴿ وسبح ﴾ وهو خطأ !!

أنه نَظَرَ إلى القمر فقال : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِن اسْتَطَعْتُم أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا » . ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾[أ] [ق : ٣٩] .

١١ـ وأيضًا : ففي « صحيح مسلم »(١) عن النبي ﷺ : أنه سُئل : أيُّ الكلام أفضل ؟ قال : « مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » .

١٢ـ وفي « الصحيحين »(٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » .

اقتران التكبير بالتهليل في الآذان وإذا علا شرفا

١٣ـ وأمَّا « **التكبير** » : فهو مَقْرون بالتَّهليل :

(١) في الأَذان ؛ فإن المُؤَذِّن يُكَبِّر ويُهَلِّل .

(٢) وفي تكبير الإِشْرَاف ؛ كان إذا عَلَا نشزًا كبَّر ثلاثًا ، وقال :

---

(١) مسلم (٢٧٣١) (٨٤) من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه .

(٢) البخاري (٧٥٦٣ ـ التوحيد) واللفظ له بتقديم « حَبِيبَتَانِ » وَتَأْخِير « ثَقِيلَتَانِ » ورواه في الدعوات (٦٤٠٦) وفي الأيمان والنذور (٦٦٨٢) بتقديم « خَفِيفَتَانِ » وتأخير « حَبِيبَتَانِ » وهي رواية مسلم (٢٦٩٤) (٣١) .

[أ] في الأصل (فسبح) بدل ﴿ وسبح ﴾ وهو خطأ !!

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

وهو في « الصحيحين »(١) .

التكبير على الصفا والمروة وعند ركوب الدابة وفي الأعياد

(٣) وكذلك : على الصَّفا والمروة(٢) .

(٤) وكذلك : إذا ركب دابة(٣) .

(٥) وكذلك : في تكبير الأعياد(٤) .

---

(١) البخاري (٦٣٨٥) ومسلم (١٣٤٤) (٤٢٨) .

(٢) مسلم (١٢١٨) (١٤٧) من حديث جابر الطويل في صفة حجه ﷺ وفيه: « ثُمَّ خَرَجَ مِن الْبَابِ إِلَى الصَّفَا فَلَمَّا دَنَا من الصَّفَا قَرَأَ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ثُمَّ دَعَا بَين ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .. » الحديث .

(٣) مسلم (١٣٢٤) (٤٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما عَلَّمَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ » ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ : « آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » .

(٤) من ذلك : ما رواه ابن أبي شيبة والمحاملي أن النبي ﷺ كان يخرج يوم الفطر فيكبر حتى يأتي المصلى وحتى يقضي الصلاة فإذا قضى الصلاة قطع التكبير . راجع : « الصحيحة » (١٧٠) =

مشروعية التكبير في الأماكن العالية

١٤ـ والتكبير مشروع في الأماكن العالية ، والتسبيح عند الانخفاض .

١٥ـ كما في « السنن »(١) عن جابر قال : « كنا مع رسول اللّه ﷺ إِذَا عَلَوْنَا كبَّرنا ، وإذا هَبطْنَا سَبَّحْنَا » .

١٦ـ فوضعت الصلاة على ذلك ؛ والمُصَلِّي في رُكُوعِهِ وسُجُودِهِ يُسَبِّح ، وَيُكَبِّرُ في الخَفْضِ والرَّفْعِ ؛ كما جاءت الأحاديث الصحيحة بمثل ذلك عن النبي ﷺ .

١٧ـ ومن اقتران **التهليل بالتكبير** :

قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم : « يا عدي مَا يُفِرُّكَ ؟! أيُفِرُّكَ أن يُقَال لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فهل تعلم من إله إلا اللّه ، مَا يُفِرُّكَ ؟! أيُفِرُّكَ / أن يُقَال : اللّه أكبر ، فهل من شيء أكبر من اللّه ؟! » رواه « أحمد » و « الترمذي » وغيرهما(٢) .

/ و ١٨٣ /

= وكان ابن مسعود يقول : الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد رواه الدارقطني وابن أبي شيبة « الإرواء » (٦٥٠) .

وكان ابن عباس يقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد ، الله أكبر وأجل ، الله أكبر على ما هدانا . رواه البيهقي (٣ / ٣١٥) .

(١) البخاري (٢٩٩٣) من حديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا . وهو عند النسائي في الكبرى (١٠٣٧٦) وأحمد (٣ / ٣٣٣) .

(٢) أحمد (٤ / ٣٧٨) والترمذي (٢٩٥٣) والطبراني في الكبير (١٧ / ٢٣٦ ، ٢٣٧) =

التسبيح والتحميد يجمع النفي والإثبات

١٨ـ فنقول : « **التسبيح والتحميد** » يجمع النَّفي والإثبات ؛ نفي المَعَايب وَإِثْبَات المَحَامِد ، وذلك يتضمَّن التعظيم .

ولهذا قال : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] .

وقال : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٧٤] .

وقد قال النبي ﷺ : « اجْعَلُوا هَذِهِ في رُكُوعِكُم ، وهذه في سُجُودِكُم »[١] .

وقال : « أما الرُّكُوع فَعَظِّمُوا فِيه الرَّب »[٢] .

= والطيالسي (١٠٤٠) وصححه ابن حبان (٧٢٠٦) من حديث عدي بن حاتم .

وقال الترمذي : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ » .

وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » (٢٣٥٣) .

ولفظ الترمذي : « مَا يُفِرُّكَ أَنْ تَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَى اللَّهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا قَالَ : ثُمَّ تَكَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا تَفِرُّ أَنْ تَقُولَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَتَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا أَكْبَرُ مِن اللَّهِ قَالَ : قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّ النَّصَارَى ضُلَّالٌ » .

« مَا يُفِرُّكَ » بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْفَاءِ يُقَالُ أَفْرَرْته أُفِرُّهُ أَيْ فَعَلْت بِهِ مَا يَفِرُّ مِنْهُ وَيَهْرُبُ أَيْ مَا يَحْمِلُك عَلَى الْفِرَارِ . وَكَثِيرٌ مِن الْمُحَدِّثِينَ يَقُولُونَ : بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْفَاءِ . وَالصَّحِيحُ : الْأَوَّلُ ؛ قَالَهُ الْجَزَرِيُّ « إِنَّمَا تَفِرُّ » مِن الْفِرَارِ أَيْ تَهْرُبُ .. قَالَ الْحَافِظُ ابن كثير في « تفسيره » « وَقَدْ رُوِيَ حديث عَدِيٍّ هذا مِنْ طُرُقٍ وَلَهُ أَلْفَاظٌ كَثِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُها » . « تحفة الأحوذي » (٨ / ٢٨٧ ، ٢٨٩) .

(١) أبو داود (٨٦٩) وابن ماجه (٨٨٧) وأحمد (٤ / ١٥٥) والدارمي (١٣٠٥) وصححه الحاكم (١/ ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٢ / ٥٢٠) وابن خزيمة (٦٠٠) ، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٢) مسلم (٤٧٩) (٢٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

فـ « التسبيح » يتضمن : التَّنزيه المستلزم للتعظيم .

و « الحمد » يتضمن : إثبات المحامد المتضمن لنفي نقائصها .

التهليل والتكبير وما يتضمنه كلا منهما

١٩ـ وأمَّا « **التهليل والتكبير** » :

فـ « التهليل » يتضمن : اختصاصه بالإلٰهية وما يستلزم الإلٰهية فهذا لا يكون لغيره ، بل هو مختص به .

و « التكبير » يتضمن : أنه أكبر من كل شيء .

٢٠ـ فما يَحْصُل لغيره من نوع صفات الكمال ؛ فإن المخلوق مُتَّصِف بأنه موجود ، وأنه حيٌّ وأنه عليمٌ ، قديرٌ ، سميعٌ بصيرٌ ، إلى غير ذلك .

٢١ـ فهو سبحانه أكبر من كل شيء ، فلا يُسَاوِيه شيء في شيء من صفات الكمال ؛ بل هي نوعان : نوع يختص به ويمتنع ثبوته لغيره ؛ مثل كونه رب العالمين ، وإله الخلق أجمعين ، الأولَ الآخَر ، الظاهرَ الباطنْ ، القديمَ الأزلي ، الرحمنَ الرحيم مالكَ الملك ، عالَم الغيب والشهادة .

٢٢ـ فهذا كله هو مختصٌّ به ، وهو مستلزم لاختصاصه بالإلٰهية فلا إله إلَّا هو ، ولا يجوز أن يُعبد إلا هو ، ولا يُتوكل إلا عليه ولا يُرغب إلا إليه ، ولا يُخشى إلا هو .

٢٣ـ فهذا كله من تحقيق لا إله إلا اللّه .

٢٤ـ وأمَّا « اللّه أكبر » فكل اسم يتضمن تفضيله على غيره .

٢٥ـ مثل قوله : ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ [العلق : ٣] .

٢٦ـ وقوله : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

٢٧ـ وقوله : ﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥١] .

٢٨ـ : ﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

٢٩ـ كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم : « أَيُفِرُّكَ أن يُقال اللّهُ أكبر فَهَل من شيء أَكْبَر مِن اللّه »[١] .

غلط من قال : إن أكبر بمعنى كبير

٣٠ـ وأمَّا قول بعض النُّحاة إنَّ أكبر بمعنى كبير ؛ فهذا غلط مُخَالِفٌ لنص الرسول ﷺ ولمعنى الاسم المنقول بالتواتر .

٣١ـ وكذلك قول بعض الناس أنه أكبر مما يُعلم ويُوصف . ويقال : جعلوا معنى « أكبر » أنه أكبر مما في القلوب والألسنة من معرفته ونعته ، أي هو فوق معرفة العارفين ! وهذا المعنى صحيحٌ لكن ليس بطائل ؛ فإن الأنبياء والرسل والملائكة والجنة والنار ، وما شاء اللّه من مخلوقاته هي أكبر مما يعرفه الناس .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٢١) .

٣٢ـ قال اللَّه تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] .

٣٣ـ وقال تعالى : « أَعْدَدْتُ لِعِبادي الصَّالحين مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[1] .

٣٤ـ فبعْض مخلوقاته هي أكبر في معرفة الخلق من البعض بخلاف ما إذا قيل إنه أكبر من كل شيء ، فهذا لا يشْرَكه فيه غيره .

تفسيره ﷺ لـ « الله أكبر »

٣٥ـ وبذلك فسَّر النبي ﷺ هذه الكلمة في مخاطبته لعدي بن حاتم حيث قال : « أَيُفِرُّك أن يُقال : اللَّه أَكْبر ، فهل من شيء أَكْبَر من اللَّه »[2] .

٣٦ـ وعلى هذا ؛ فعلمه أكبر من كل علم ، وقُدْرته أكبر من كل قدرة ، وهكذا سائر صفاته .

٣٧ـ كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٩] فشهادته أكبر الشهادات .

٣٨ـ فهذه الكلمة تقتضي تفضيله على كل شيء / مما تُوصف به الأشياء من أُمُور الكمالات التي جَعَلها هو سبحانه لها . / ١٨٣ظ /

---

(١) البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤) (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه ص (٢١) .

التهليل يختص بالإلهية

٣٩ـ وأمَّا **التَّهليل** : فيتضمن تخصيصه بالإلٰهية ، ليس هناك أحد يتصف بها حتى يقال إنه أكبر منه فيها ؛ بل لا إله إلا اللّٰه .

٤٠ـ وهذه تَضَمَّنت نفي الإلٰهية عمَّا سواه وإثباتها له ، وتلك تضمنت أنه أكبر مطلقًا ، فهذه تخصيص ، وهذه تفضيل لما تَضَمَّنه التَّسبيح والتحميد من النَّفي والإثبات ، فإن كل ذلك إما أن يكون مختصًا به أو ليس كمثله أحد فيه .

مشروعية التكبير عند مشاهدة ما له نوع من العظمة في المخلوقات

٤١ـ ولهذا كان التكبير مشروعًا على مشاهدة ما له نوع من العظمة في المخلوقات كالأماكن العالية .

٤٢ـ والشياطين تهرب عند سماع الأَذَان(١) .

٤٣ـ والحريق يُطفأ بالتَّكبير(٢) ، فإن مَرَدة الإنس والجن يستكبرون

---

(١) وَرَدَ ذلك فيما رواه البخاري (٦٠٨) ومسلم (٣٨٩) (١٩) من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ .. » الحديث .

(٢) ورد ذلك فيما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٩٥ ، ٢٩٦) و (٢٩٧) (٢٩٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ : « إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئ النار » وإسناده ضعيف جدًا كما قال الألباني في « تخريج الكلم الطيب » (٢٢١) ، وقد أشار المصنف لضعفه لما أورده في « الكلم الطيب » وصدره بصيغة التضعيف : « وَيُذْكَر » .

وفي الباب : عن ابن عباس : عزاه في « الجامع الصغير » لابن عدي ورمز لحسنه ، وراجع « فيض القدير » للمناوي (١ / ٣٦٠) .

وعن أبي هريرة : رواه الطبراني في « الأوسط » (٨٥٦٩) ، وفي « الدعاء » (١٠٠١) بلفظ : « أطفئوا الحريق بالتكبير » . وقال في « المجمع » (١٠ / ١٣٨) : « وفيه من لم أعرفهم » . =

عن عبادته ويعلون عليه ويُحادُّونه .

٤٤ـ كما قال عن موسى : ﴿ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[أ] [الدخان : ١٧ ـ ١٩] .

* وجه التكبير بالتهليل واقترانهما معاً .

٤٥ـ فالنفوس المتكبرة تذل عند تكبيره سبحانه ، والتهليل يمنع أن يُعبد غيره ، أو يُرجَىٰ ، أو يُخاف ، أو يُدعَىٰ ، وذلك يتضمن أنه أكبر من كل شيء ، وأنه مستحق لصفات الكمال التي لا يستحقها غيره .

لا إله إلا الله أفضل الكلمات

٤٦ـ **فهي أفضل الكلمات** ؛ كما في الصحيحين[1] عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُون شُعْبة - أَوْ سُتُّون - أَعْلاها قول لا إله إلَّا اللَّه ، وأَدْنَاهَا إمَاطة الأَذَىٰ عن الطَّريق » .

= **فائدة** : قال العلامة ابن القيم رحمه الله : « فإنَّ التكبير يُطْفِئه لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خُلِقَ منها وكان فيه من الفساد العام ما يُنَاسب الشيطان بمادته وفعله كان للشيطان إعانة عليه وتنفيذًا له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهذان الأمران وهما العلو في الأرض والفساد هما هدي الشيطان وإليهما يدعو وبهما يهلك بنى آدم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض والفساد وكبرياء الرب عز وجل تقمع الشيطان وفعله ولهذا كان تكبير الله عز وجل له أثرٌ في إطفاء الحريق ؛ فإنَّ كبرياء الله عز وجل لا يقوم لها شيء ، فإذا كبَّر المسلم ربه أثر تكبيره في خُمُود النار وخُمُود الشيطان التى هي مادته فيطفئ الحريق ، وقد جرَّبنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك ، والله أعلم » « زاد المعاد » (٤ / ٢١٢ ، ٢١٣) .

(١) البخاري (٩) ومسلم (٣٥) (٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[أ] سقط في الأصل الآية رقم ١٨ من السورة بين الآيتين ١٧ و ١٩ فأثبتها هنا .

٢٧وفي حديث « الموطأ »[(١)] : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

٤٨ـ وفي « سنن ابن ماجة » و « كتاب ابن أبي الدنيا »[(٢)] عن النبي ﷺ : « أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ » .

لا لله إلا الله أساس الدين والفارق بين أهل الجنة والنار

٤٩ـ وهذه الكلمة هي : **أساس الدِّين** .

٥٠ـ وهي : **الفارق بين أهل الجَنَّة وأهل النار** .

٥١ـ كما في « صحيح مسلم »[(٣)] عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال : « المُوجبَتَان : مَن مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَن مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار » .

٥٢ـ وفي الصحيح[(٤)] عنه : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ [إلا] اللَّه دَخَلَ الجَنَّة » .

---

(١) مالك (٥٠٠) و (٩٤٥) (٤٩٨) والبيهقي (٤ / ٢٨٤) و (٥ / ١١٧) وعبد الرزاق في المصنف (٣٥٨٥) من حديث طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ . وفي الباب عن : عن عمرو بن شعيب عن أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ : رواه الترمذي (٣٥٨٥) وقال : «حَدِيثٌ غَرِيبٌ » .

(٢) الترمذي (٣٣٨٣) وقال : « حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ » ، وابن ماجه (٣٨٠٠) وابن أبي الدنيا في الشكر (١٠٢) من حديث جابر . وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » (٢٦٩٢) .

(٣) مسلم (٩٣) (١٥١) .

(٤) مسلم (٢٦) (٤٣) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه . وما بين المعقوفتين زيادة منه .

- ولكن هذا غير صحيح ولم يفهمه الصحابة بهذا الفهم بل إن المعنى هو لقنوا موتاكم عند الموت وحين الاحتضار وليس بعد الموت .

٥٣- وفي الصحيح(١) أيضًا : « « لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

لا لله إلا الله الكلمة الطيبة التي بعث بها الرسل

٥٤- وهي : **الكلمة الطيبة التي ضربها اللَّه مثلًا كشجرة طيبة** .

٥٥- وهي : **بُعِثَ بها جميع الرُّسل** : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

٥٦- : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] .

لا لله إلا الله هي الكلمة التي جعلها إبراهيم في عقبه وهي دين الإسلام

٥٧- وهي : **الكلمة التي جعلها إبراهيم في عقبه** : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

٥٨- وهي : **دين الإسلام الذي لا يقبل اللَّه دينًا غيرَه** ، لا من الأولين ولا من الآخرين .

٥٩- ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

٦٠- ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

٦١- وكل خُطْبة لا يكون فيها شهادة فهي جَذْماء .

---

(١) مسلم (٩١٦) (١) من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه .
وفي الباب عن أبي هريرة : رواه مسلم (٩١٧) (٢) .

٦٢- كما في « سنن أبي داود » و « الترمذي »[١] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « كُلُّ خُطْبَة لَيس فِيها تَشَهُّد فهي كاليد الجَذْمَاء » .

الحمد مفتاح الكلام

٦٣- والحمد مفتاح الكلام ، كما في « سنن أبي داود »[٢] عن النبي ﷺ : « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لايُبْدَأ فيه بِالحَمْدِ فَهُو أَجْذَم » .

٦٤- ولهذا كانت السُّنَّة في الخُطَب : أن تُفتتح بالحَمْد ، ويُختم ذكر اللّه / بالتشهد ، ثم يتكلم الإنسان بِحَاجَتِه . / و ١٨٤ /

٦٥- وبها جاء التشهد في الصَّلاة ؛ أوله : التحيات للّه ، وآخره : أَشْهَدُ أَنَّ لا إله إلا اللّه وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبده وَرَسُوله .

٦٦- وفاتحة الكتاب نِصْفان : نِصْفٌ للّه ، ونِصْفٌ لِلعبد .

ونِصْفُ الرَّب أَوَّله حَمْد وآخره تَوْحِيد : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

ونِصْفُ العبد هو دعاء وأَوَّلُه توحيد : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

التكبير والتهليل والتسبيح مقدمة التحميد

٦٧- والتكبير والتهليل والتسبيح مُقَدِّمة التَّحميد .

---

(١) أبو داود (٤٨٤١) والترمذي (١١٠٦) وأحمد (٢ / ٣٤٣) .
وقد أشار الحافظ في « الفتح » (١ / ٨) إلى أن في **إسناده مقال** .

(٢) أبو داود (٤٨٤٠) ، وقال : إنه مرسل ، وابن ماجة (١٨٩٤) ، وقد أشار الحافظ أيضًا في « الفتح » (١ / ٨) إلى أن في **إسناده مقال** ؛ **ففيه قرة بن عبد الرحمن ضعيف**

٦٨ـ فالمؤذن يقول : « اللَّهُ أَكْبَر اللَّه أَكْبَر » .

ثم يقول : « أشهد أن لا إله إلا اللَّه » .

ويختم الأذان بقوله : « اللَّه أكبر اللَّه أكبر ، لا إله إلا اللَّه » .

٦٩ـ وكذلك : تكبيرات الإشراف والأعياد تُفْتَتح بالتكبير وتختم بالتَّوحيد ، فالتكبير بساط .

٧٠ـ وكذلك : « التَّسبيح » مع « التحميد » : « سُبْحَان اللَّه وَبِحَمْدِه » ؛ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [طه : ١٣٠] ؛ لأن التسبيح يتضمن نَفْي النَّقَائِص والعُيوب ، والتَّحْمِيد يتضمن إثبات صفات الكَمَال التي يُحمد عليها .



فَصْلٌ

٧١ـ وهو في نفس الأمر لا إله غيره ، هو أَكْبَرُ مِن كُلِّ شيء .

٧٢ـ وهو المُسْتَحِقُّ للتحميد والتَّنْزِيه .

٧٣ـ وهو مُتَّصِف بذلك كله في نَفْس الأَمْر .

٧٤ـ فالعباد لا يُثْبِتُون له بِكَلامِهم شيئًا لم يكن ثابتًا له ، بل المقصود بكلامهم تحقيق ذلك في أنفسهم ، فإنهم يَسْعَدُون السَّعَادة التَّامة إذا صار أحدهم ليس في نفسه إله إلا اللَّه خَلص من شِرْك المُشْرِكين .

٧٥ـ فإن أكثر بني آدم ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

٧٦ـ فهم يُقِرّون أنه رب العالمين لا رب غيره ، ومع هذا يُشْرِكُون به في الحُبِّ أو التَّوكل أو الخوف أو غير ذلك من أنواع الشِّرْك .

٧٧ـ وأمَّا **التَّوحيد** : أن يكون اللَّه أحبّ إليه من كل ما سواه .

فلا يحب شيئًا مثل ما يحب اللَّه .

ولا يخافه كما يخاف اللَّه .

ولا يرجوه كما يرجوه .

ولا يُجِلُّه وَيُكْرِمه مثل ما يُجِلُّ اللَّه ويكرمه .

٧٨ـ ومَن سوَّى بينه وبين غيره في أَمْرٍ من الأُمُور فهو مُشْرِك ؛ إذ كان المشركون لا يُسَوُّون بينه وبين غيره في كل [أمر][أ] فإن هذا لم يقله أحد من بني آدم ، وهو ممتنع لذاته امتناعًا معلومًا لبني آدم ، لكن منهم مَن جحده وفضل عليه غيره في العبادة والطاعة ، لكن مع هذا لم يثبته ويسوِّي بينه وبين غيره في كل شيء ، بل في كثير من الأشياء .

فَمَنْ سوَّى بينه وبين غيره في أمر من الأُمُور فهو مُشْرك .

٧٩ـ قال اللَّه تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] .

في العبادة والطاعة

أي : يَعْدِلُون به غيره . أي يُسَوُّون به غيره

يقال : عدل به أيْ جعله عَدِيلاً لكذا ومثلاً له .

٨٠ـ وقال تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩١ - ٩٨] .

٨١ـ وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

[أ] زيادة يستقيم بها السياق .

٨٢ـ فَلا إِله إِلَّا هُو سُبْحَانه ، وَمَا سِوَاهُ ليس بِإِله ، لَكِنْ المشركون عَبَدُوا مَعَهُ آلهة ، وهي أَسْمَاء سَمَّوها هم وآباؤهم مَا أَنْزَل اللَّه بها من سُلْطان ، كما يُسَمّى الإنسان ـ الجَاهل عَالِمًا والكاذب صَادِقًا ـ ويكون ذلك عنده لا في نَفْس الأَمْر ، وهؤلاء آلهةٌ في نُفُوس المُشْرِكين بهم ليسوا آلهةً في نَفْس الأَمْر ، ولهذا كان ما في نُفُوسِهم / من الشِّرك هو إِفكًا .

/ ظ ١٨٤ /

٨٣ـ قال اللَّه تعالى عن إبراهيم : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ❁ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات : ٨٥ ، ٨٦] .

٨٤ـ وقال أيضًا : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

٨٥ـ وقال : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ١٥] .

٨٦ـ وقال هود لقومه : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود : ٥٠] .

٨٧ـ والموحِّد صَادِقٌ في قوله لا إله إلا اللَّه ، وكُلَّما كرَّر ذلك تَحقَّقَ قَلْبُه بالتَّوْحِيد والإخلاص .

كل ما يخطر بنفس العباد من التعظيم فالله أكبر منه

٨٨ـ وكذلك قوله : « اللَّه أكبر » ؛ فإنه تعالى كل ما يخطر بنفس العباد من التَّعْظِيم فهو أَكْبَر منه ؛ الملائكة والجن والإنس ، فإنَّهُ أي شيء قدر في الأَنْفُس من التَّعظيم كان دُون الذي هو مُتَّصِف به .

٨٩ـ كما أنه سبحانه فوق ما يُثني عليه العباد ، كما قال أَعْلَم الناس به : « لا أُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْك أنت كما أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِك »[1] .

٩٠ـ فكلما قال العبد « اللَّه أكبر » تَحقَّق قلبه بأن يكون اللَّه في قلبه أكبر من كُلّ شيء ؛ فلا يبقى لمخلوق على القلب رَبَّانية تُسَاوي رَبَّانية الرَّب فضلاً عن أن تكون مِثْلَها .

٩١ـ وهذا دَاخِلٌ في التَّوحيد لا إله إلا اللَّه ، فلا يكون في قلبه لمخلوق شيء من التَّأَلُّه ؛ لا قليل ولا كثير ، بل التَّأَلُّه كله للَّه ولكن للمخلوق عنده نوع من القَدْر والمَنْزِلة والمحبة ، وليست كَقَدْر الخالق ، والمَحَبّة المأمور بها هي الحب للَّه كَحُب الأنبياء والصَّالحين ، فهو يُحِبّهم ؛ لأن اللَّه أَمَرَ بِحبهم ، فهذا هو الحُبُّ للَّه ، فَأَمَّا مَنْ أَحَبَّهم مع اللَّه فَهَذَا مُشْرك .

المحبة المأمور بها والمنهي عنها

٩٢ـ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٤٨٦) (٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

الحب في الله إيمان والحب مع الله شرك

٩٣ـ فالحبُّ في اللَّه إيمانٌ ، والحبُّ مَعَ اللَّهِ شِرْكٌ .

٩٤ـ وكذلك إذا قال : « سُبْحَان اللَّه والحَمْد للَّه » فقد نَزَّهَ الرَّب فنزَّه قلبه أن يصف الرَّبّ بما لا ينبغي له ، فكلما سبَّح الرَّب تنزَّهت نفسه عن أن يصف الرَّب بشيء من السُّوء .

٩٥ـ كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات : ١٨٠] .

٩٦ـ وقال : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤٣] .

٩٧ـ فهو سبحانه سَبَّحَ نفسه عما يصفه المفترون والمُشْرِكُون .

تسبيح الرب فيه تزكية للنفس

٩٨ـ فإذا سبَّح الرَّب كان قد زَكَّىٰ نفسه ، وقد سَمَّىٰ اللَّه الأعمال الصَّالحة زكاة وتَزْكِية في مثل قوله : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت : ٦ ، ٧] .

٩٩ـ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة : ١٢٩] . قال : يعني بالزكاة طاعة اللَّه والإخلاص[١] .

فجمع بين التزكية من الكفر والذُّنُوب .

---

(١) « تفسير الطبري » (١ / ٥٥٨) ، و « تفسير القرطبي » (٢ / ١٧) ، و « فتح القدير » (٤ / ٣٥) . وطريق علي بن طلحة عن ابن عباس مرسلة لأنه لم يلق ابن عباس بل أرسل عنه التفسير ، فقيل سمعه من مجاهد ، وقيل من غيره ، على أن علي بن طلحة قال فيه أحمد : له أشياء منكرات ؛ قاله العلائي في « جزء الباقيات الصالحات » ص (٤١ ، ٤٢)

١٠٠- وقال مقاتل بن حيان : ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥١] : « يطهركم من الذنوب »[١] ، هكذا قال في آية البقرة .

١٠١- وقال في آية الصَّف : « يطهرهم من الذنوب والكفر »[٢] .

١٠٢- وقال ابن جريج : « يُطَهِّرهم من الشِّرك وَيُخَلِّصهم منه »[٣] .

١٠٣- وقال السدي : « يأخذ زكاة أموالهم »[٤] .

١٠٤- ففسَّروا الآية بما يَعُمُّ زكاة الأموال وغيرها من الأعمال ، فقال : بالإخلاص والطاعة ؛ وتزكيتهم من الذنوب والكفر أعظم مقصود الآية والمشركون نجس ، والصدقة من تمام التطهر والزكاة ، كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

تفسير قوله : ﴿ لا يؤتون الزكاة ﴾

/ و ١٨٥ /

١٠٥- وكذلك قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت : ٦ ، ٧] / . قال : « هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا اللَّه »[٥] .

---

(١) « تفسير الطبري » (١ / ٥٥٨) و « تفسير القرطبي » (٢ / ١٣١) .

(٢) « تفسير القرطبي » (١٨ / ٩٢) .

(٣) « تفسير القرطبي » (١٨ / ٩٢) .

(٤) « تفسير القرطبي » (١٨ / ٩٢) و « فتح القدير » (٥ / ٢٢٥) .

(٥) « تفسير الطبري » (٢٤ / ٩٢) ، و « تفسير ابن كثير » (٤ / ٩٣) .

١٠٦ـ وروي عن عكرمة نحو ذلك[١] .

١٠٧ـ وقال قتادة : « لايُقِرُّون بها ولا يُؤْمِنُون بها »[٢] .

١٠٨ـ وكذلك قال السدي : « لا يَدِينُون بِهَا ، ولو زَكُّوا وهم مُشْرِكُون لم يَنْفَعهم »[٣] .

١٠٩ـ وقال معاوية بن قرة : « لَيْسُوا مِن أَهْلِهَا »[٤] .

١١٠ـ وقد قال موسى لفرعون : ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات : ١٨ ، ١٩] .

١١١ـ وقال عن الأعمى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ [عبس : ٣] .

١١٢ـ وقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩ ، ١٠] .

١١٣ـ وقال : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه : ٧٤ - ٧٦] .

معنى الحمد

١١٤ـ وكذلك الحمد ؛ كلما حَمد العبد ربَّهُ تحقق حمده في قلبه

---

(١) « تفسير الطبري » (٢٤ / ٩٢) وعزاه في « الدر المنثور » (٧ / ٣١٣) لعبد بن حميد والحكيم الترمذي .

(٢) « تفسير الطبري » (٢٤ / ٩٣) .

(٣) « تفسير الطبري » (٢٤ / ٩٣) .

(٤) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٩٢) .

ومعرفةً بِمَحَامِدِهِ ، وَمَحَبَّة له ، وشكرًا له .

١١٥- والألف واللام في قوله « الحمد للَّه » فيها قولان :

قيل : هي للجنس كما ذكره بعض المُفَسِّرين من المعتزلة وتبعه عليه بعض المنتسبين إلى السُّنَّة .

والثاني : وهو الصَّحيح - أنها للاستغراق ، فالحمد كله للَّه .

١١٦- كما جاء في الأثر : « لَكَ الحَمْدُ كُلُّه ، ولَكَ المُلْكُ كُلُّه »(١) .

الحمد المستقل والملك المستقل

١١٧- فَلَهُ الحَمْدُ حَمْد مُسْتَقِلٌ ، وله الملك ملكٌ مُسْتَقِلٌ ، ولكن هو سبحانه يُؤْتِي المُلْك من يشاء ، والذي يُؤْتِيه هو من ملكه ، وكل ما تَصَرَّف فيه العبد فهو من مُلْك الرَّب ، وهو مُسْتَقِلٌ بالمُلْك ، ليس هذا لغيره .

١١٨- كذلك الحَمْد هو مُسْتقل بالحَمْد كُلُّه ؛ فَلَهُ الحَمْدُ كُلُّه

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٣٩٥ ، ٣٩٦) بإسنادٍ منقطع من حديث حذيفة أنه أتى النبي ﷺ فقال : بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي إِذْ سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ المُلْكُ كُلُّهُ بِيَدِكَ الخَيْرُ كُلُّهُ إِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ فَأَهْلٌ أَنْ تُحْمَدَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا مَضَى مِنْ ذَنْبِي ، وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي ، وَارْزُقْنِي عَمَلًا زَاكِيًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ذَاكَ مَلَكٌ أَتَاكَ يُعَلِّمُكَ تَحْمِيدَ رَبِّكَ » .

وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ٩٦) : « رواه أحمد وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله ثقات » .

وأورده المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢ / ٤٢٨ ، ٤٢٩) من حديث أنس بنحو القصة وقال : « رواه ابن أبي الدنيا في « كتاب الذكر » ولم يسم تابعيه » .

وله المُلْكُ كُلُّه ، وكل مَا جَاءَ به الإذن من موجود ؛ فَلَهُ الحَمْدُ عليه ، وكل ما يجعله للعباد مما يحمدون عليه ؛ فَلَهُ الحَمْدُ عليه ، وإذا أَلْهمهم الحَمْدُ فهو الذي جَعَلَهُم حامدين .

الحمد عند أهل السنة والمعتزلة

١١٩ـ و « **المعتزلة** » لا يقرون بأنه جعل الحَامِد حَامِدًا ، والمُصَلِّي مُصَلِّيًا ، والمُسْلِم مُسْلِمًا ، بل يثبتون وُجُود الأعمال الصالحة من العبد لا من اللَّه ، فلا يسْتحق الحَمْدَ على تلك الأعمال على أصلهم ؛ إذ كان ما أعطاهم من القُدْرَة والتَّمْكِين وإزاحة العِلل قد أعطى الكفار مثله ، لكنِ المؤمنونَ استقلوا بفعل الحَسَنَات كالأب الذي يُعطي ابنيه مالًا ، فهذا ينفقه في الطَّاعة وهذا يُنْفقه في المعصية .

١٢٠ـ فهو عندهم لا يُمْدَح على إنفاق هذا الابن كما لا يذم على الإنفاق الآخر .

١٢١ـ وأمَّا « **أهل السُّنَّة** » فيقولون كما أخبر اللَّه تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات : ٧] .

١٢٢ـ وقال أهل الجنة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

١٢٣ـ وقال الخليل : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

١٢٤ـ وقال هو وابنه إسماعيل : ﴿ وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

١٢٥ـ ويحمدون اللَّه ـ حَمْد النِّعمة وحَمْد العِبَادة ـ كما قد بسط هذا في الكلام في الشُّكْر .

١٢٦ـ وهو سبحانه جعل مَن شاء مِن عباده مَحْمُودًا ، ومحمدًا سيِّدَ المَحْمُودين ، ومحمدٌ تكون صفاته المحمودة أكثر وأحمد يكون أَحْمَدَ من غيره . فهذا أفضل وذَاكَ أَكْثر ، وهو سبحانه جعله مُحَمّدًا وأحمدَ ، فهو المحمود على ذلك .

١٢٧ـ وحَمْدُ أهل السَّمٰوات والأرض جُزء من حَمْدِه ، فإن حمد المصنوع حمد صانعه ، كما أنَّ كل مُلك هو جزءٌ من ملكه فَلَهُ المُلْك وَلَهُ الحَمْد .

تمام الحمد بالتوحيد

١٢٨ـ والحَمْدُ إنما يتمُّ بالتَّوحيد ، وهو مناط للتَّوحيد ، ومُقَدِّمة له ولهذا يُفتتح به الكلام ، ويُثَنَّىٰ بالتَّشهد ، وكل كلام لا يُبدأ فيه بالحمد للَّه فهو أجذم ، وكل خطبة ليس فيها تشهدٌ / فهي كاليد الجَذْماء .

/ ظ ١٨٥ /

١٢٩ـ وإذَا كان الحَمْد كله له . . .[أ] بخلاف مَا إذا أثبت جنس الحَمْد من غير استغراق ؛ فإنَّ هذا لا يثبت خصائص الرَّب

[أ] كذا بالأصل .

التي بها يمتاز عن غيره ؛ فإنَّ الحَمْد إذا كان للجنس أَوْجَبَ أن يكون لغيره أفراد من أفراد هذا الجنس كما تقوله القدرية .

١٣٠ـ وأمَّا أهل السُّنَّة فيقولون : الحمد للَّه كله . . .[أ] وإنما للعبد حَمْدٌ مُقَيَّدٌ ؛ لكون اللَّه تعالى أَنْعَم به عليه ، كما للعبد مُلك مُقيَّد ، وأمَّا المُلْك المُستَقِلّ ، والحَمْد المُسْتَقِلّ ، والمُلْك العام ، والحَمْد العام فهو للَّه رب العالمين لا إله إلا هو ، له المُلْك وَلَهُ الحَمْدُ وَهُو عَلَىٰ كُلّ شيءٍ قدير .

١٣١ـ وفي « السنن »(١) عن النبي ﷺ : « مَن قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ ؛ فقد أدَّىٰ شكر ذلك اليوم ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا أَمسَىٰ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ تلك الليلة » .

١٣٢ـ وقال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٥٣ ، ٥٤] .

١٣٣ـ وقال تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢]

(١) أبو داود (٥٠٧٣) والنسائي في الكبرى (٩٨٣٥) من حديث عبد الله بن غنام البياضي وضعفه الألباني في « تخريج الكلم الطيب » (٢٦) .

[أ] بياض بالأصل .

أي : تجعلون شكركم على نعمة اللَّه أنكم تضيفونها إلى غيره بقولكم « مُطرنا بنوء كذا وكذا » .

١٣٤ـ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴾ الآية [الروم : ٣٣] .

١٣٥ـ وقال : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

١٣٦ـ وفي حديث آخر : « مَن قال إذا أَصْبَحَ : الحَمْدُ للَّه رَبِّي لا أُشرِكُ بِهِ شَيْئًا ، أَشْهَدُ أن لا إله إلا اللَّه ؛ ظَلَّ تُغفر له ذنوبه حتى يُمسي ، وإن قالها حين يُمْسِي ؛ ظَلَّ تُغفر له ذُنُوبه حتى يُصْبح » رواه أبان المحاربي عن النبي ﷺ (١) .

١٣٧ـ وقال سعيد بن جبير : إذا قرأت : ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر : ١٤] فقل : « لا إله إلا اللَّه » ، وقُلْ على أثرها : « الحَمْدُ للَّه ربّ العَالَمِين » ثم قرأ هذه الآية : ﴿ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥] (٢) .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١ / ٢٣١) برقم (٦٣٥) .

وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ١١٧) : « رواه الطبراني وفيه : أبان بن أبي عياش ، وهو متروك » . وضعفه أيضًا : الحافظ في « الإصابة » (١ / ١٨) .

(٢) « تفسير الطبري » (٢٤ / ٨١) .

١٣٨- وقد روي نحو ذلك عن ابن عباس[(١)] .

١٣٩- وقد ثبت في « الصحيحين »[(٢)] أن النبي ﷺ كان يقول في دُبُر الصَّلاة : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » .

١٤٠- وهذا قد ذكره في أوائل هذه السُّورة ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ١٠ - ١٤] .

نوعان من الدُّعاء من دعا بهما فقد دعا الله باسمه الأعظم

١٤١- وفي « السنن » نوعان من الدُّعاء ، يقال في كل منهما لمن دعا به إنه دَعَىٰ اللَّه باسمه الأعظم :

أحدهما : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ بأنَّ لكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ اللَّه المَنَّان بديعَ السَّماوات والأرض ، ياذَا الجَلال والإِكْرَام »[(٣)] .

(١) الحاكم (٢ / ٤٧٦) وقال : « صحيح على شرط الشيخين » والطبري (٢٤ / ٨١) .

(٢) الحديث في مسلم (٥٩٤) (١٣٩) ولم يروه البخاري .

(٣) أبو داود (١٤٩٥) والنسائي (٣ / ٥٢) وفي الكبرى (١١٣٢) والترمذي (٣٥٤٤) وأحمد (٣ / ١٢٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) وصححه ابن حبان (٨٩٣) والحاكم (١ / ٥٠٣ ، ٥٠٤) ووافقه الذهبي من حديث أنس رضي الله عنه .

وصححه الألباني في « صحيح ابن ماجه » (٣٨٥٨) .

والآخر : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بأنك أنت اللَّه الأَحَدُ الصَّمَدُ الذي لم يَلِد ولم يُولَد وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَد »[1] .

١٤٢ـ والأول : سؤال بأنه المحمود ، والثاني : سؤال بأنه الأحد فذاك سؤال بكونه محمودًا ، وهذا سؤال بوحدانيته المقتضية توحيدًا ، وهو في نفسه محمودٌ يستحق الحمد معبودٌ يستحق العبادة .

١٤٣ـ والنصف الأول من الفاتحة - الذي هو نصف الرب - أوله تحميد وآخره تَعْبِيد .

١٤٤ـ وقد بُسط مثل هذا في مواضع[2] وبُيِّن أن التَّحْمِيد / والتَّوحيد مَقْرُونان ولابد منهما في كل خُطبة . / و١٨٦ /

١٤٥ـ ف « كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بالحَمْدِ للَّه فهو أَجْذَم » و « كل خُطبة ليس فيها تَشَهُّد فهي كاليد الجذماء »[3] .

---

(١) أبو داود (١٤٩٣ ، ١٤٩٤) ، والنسائي (٣ / ٥٢) ، والترمذي (٣٤٧٥) ، وأحمد (٥ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٠) وابن ماجه (٣٨٥٧) والبغوي (١٢٩٥ ، ١٢٦٠) وصححه ابن حبان (٨٩١ ، ٨٩٢) والحاكم (١ / ٥٠٤) ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » (٣٤٧٥) من حديث بريدة رضي الله عنه .

(٢) راجع : « مجموع الفتاوى » (٨ / ٣٤) ، (١٦ / ١١٨) (٢٤ / ٢٣٥) .

(٣) راجع تخريج ذلك فيما تقدم ص (٣٠) .

١٤٦- و « الحَمْدُ » مَقْرُونٌ بـ « التَّسْبيح » ، و « لا إله إلا اللَّه » مَقْرُونٌ بـ « التكبير » ، فَذَاكَ تَحْمِيدُهُ ، وَهَذَا تَوْحِيده .

١٤٧- قال تعالى : ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

١٤٨- ففي أحدهما : إثْبَات المَحَامِد لَهُ ، وذلك يتضمَّن جميع صفات الكمال ومَنْع النَّقَائص .

وفي الآخر : إثبات وَحْدَانِيَّته في ذلك وأنه ليس له كفؤ في ذلك .

١٤٩- وقد بيَّنَّا في غير هذا الموضع أنَّ هذين الأصلين يجمعان جميع أنواع التنزيه .

إثبات المحامد يستلزم نفي النقائص

١٥٠- فإثبات المحامد المتضمنة لصفات الكمال تستلزم نفي النقص وإثبات وحدانيته ، وأنه ليس له كفؤٌ في ذلك يقتضي أنه لا مثل له في شيء من صفات الكمال ، فهو مُنزَّهٌ عن النقائص ، ومُنزَّهٌ أن يُمَاثله شيء في صفات الكمال .

١٥١- كما دلَّ على هذين الأصلين قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١ - ٤] .

١٥٢- واسمه « اللَّه » تضمن جميع المحامد .

فإنه يتضمن الإلهية المُسْتَلْزِمة لذلك .

١٥٣ـ فإذا قيل : « لاإله إلا اللّه » ؛ تضمنت هذه الكلمة إثبات جميع المَحَامِد ، وأنه ليس له فيها نظيرٌ ؛ إذْ هو إله ، لا إله إلا هو ، والشرك كله : إثبات نظير للّه عزَّ وَجَلَّ .

١٥٤ـ ولهذا يُسَبِّح نفسه ويُعاليها عن الشِّرك في مثل قوله : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١ ، ٩٢] .

١٥٥ـ وقال تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢١ ، ٢٢] .

١٥٦ـ فإن الشرك قولٌ هو وَصْف ، وعَمَلٌ هو قصدٌ ، فَنَزَّه نفسه عما يَصِفُون بالقَوْل والاعتقاد ، وعن أن يُعبد مَعَهُ غيره .

١٥٧ـ وأعظم آية في القرآن : آية الكرسي .

أولها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

فقوله : ﴿ ٱللَّهُ ﴾ هو اسمه المُتَضَمِّن لجميع المَحَامِد وَصِفَات الكمال .

وقوله ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ نفيٌ للنظراء والأمثال .

١٥٨ـ وكذلك أوّل الكلمات العَشْر التي في التوراة : « يا إسرائيل أنا اللَّه لا إله إلا أنا » جمع بين الإثبات ونفي الشَّريك .

١٥٩ـ فالإثبات لرد التَّعْطِيل ، والتَّوحيد لنفي الشِّرك .

١٦٠ـ وهكذا « التَّحْمِيد » و « التَّوحيد » :

التحميد والتوحيد وما يتضمنه كلا منهما

ف « **التَّحميد** » يتضمن : إثبات ما يستحقه من المَحَامِد المتضمنة لصفات الكمال ، وهو ردٌّ للتَّعطيل .

و « **التَّوحيد** » : ردٌّ للشِّرك .

١٦١ـ و « **التحميد** » يتضمن : إثبات أسمائه الحُسْنَىٰ ، وكلها محامد له ، وهو يتضمن ذكر آياته وآلائه ، فإنه مَحْمُودٌ على آلائه كلها ، وآياته كلها من آلائه كما قد بُسِطَ في مواضع[1] .

١٦٢ـ فهو مَحْمُودٌ على كل مَا خَلَقَ ، لَهُ الحَمْدُ ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد ذلك ، فله الحمد حَمْدًا يملأ جميع مَا خَلَقَهُ ويملأ ما شاء خلقه بعد ذلك ، إذ كان كل مخلوق هو مَحْمُود عليه ، بل هو مسبِّحٌ بحمده .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١٧/ ٤٥٢ ، ٢٤ / ٢٢٩ ، ٢٣٠)

١٦٣ـ كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] . /

/ ظ ١٨٦ /

١٦٤ـ والتوحيد يقتضي نفي كل ندٍّ ومِثْلٍ ونَظِيرٍ ، وهو كمال التَّحْميد وتحقيقه ، ذاك إثباته بغاية الكمال ونفي النقص ، وهذا نفي أن يكون له مِثْل أو نِدّ .

تفسير قوله ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾

١٦٥ـ وقوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [طه : ١٣٠] .

قد فسَّرها كثير من المفسِّرين : أي فَصَلِّ بحمد ربك والثناء عليه لم يذكر ابن الجوزي غير هذا القول ، قال : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [طه : ١٣٠] : أي صلِّ له بالحَمْدِ لَهُ والثَّنَاء عليه[1] .

تفسير التسبيح بالصلاة

١٦٦ـ وتفسير « التسبيح » **بالصلاة** فيها أحاديث صحيحة وآثار كثيرة ، مثل حديث جرير المتقدم[2] .

١٦٧ـ وأما قوله : ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ فقد فَسَّرُوه – كما تقدم – أيْ : بِحَمْدِ ربِّك ، وشُكْر ربِّك ، وطاعة ربِّك ، وعبادة ربِّك .

أي : بذكرك ربِّك ، وشُكْرِك رَبِّك ، وَطَاعَتِكَ رَبِّك ، وعبادتك رَبِّك .

---

(١) « زاد المسير » (٥ / ٣٣٣) .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٨) .

١٦٨ـ ولا ريب أن حمد الرَّب والثَّناء عليه ركن في الصَّلاة ، فإنها لا تتم إلا بالفاتحة التي نصفها الأول حمد للَّه وثناء عليه وتحميدٌ له ، وقد شرع قبل ذلك الاستفتاح ، وشرع الحَمْدُ عند الرَّفع من الرُّكوع ، وهو متضمن لحمدٍ للَّه تعالى .

١٦٩ـ وذكر طائفة من المفسرين كالثعلبي وغيره قولين :

ـ قالوا ؛ واللفظ للبغوي : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي : صَلِّ بأمر رَبِّك[١] .

ـ وقيل : صَلِّ له بالحَمْدِ له والثناء عليه .

فهذا القول الأول الذي ذَكَرَهُ البغوي هو مأثور عن أبي مالك أحد التابعين الذين أخذ عنهم السدي التفسير من أصحاب ابن عباس .

١٧٠ـ وروى ابن أبي حاتم عن أسباط عن السدي عن أبي مالك : قوله ﴿ بِحَمْدِ ﴾ يعني : بأمر[٢] .

وتوجيه هذا : أن قوله ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ أي بكونه محمودًا ، كما قد قيل في قول القائل : « سبحان اللَّه وبحمده » قيل : سبحان اللَّه ومع حمده أسبحه ، أو أسبحه بحمدي له .

(١) « تفسير البغوي » (٣ / ٢٣٦ ، ٤ / ٤٧٥) .

(٢) « تفسير البغوي » (٣ / ٦٠) .

١٧١ـ وقيل : « سبحان اللّه وبحمده » سُبحناهُ ، أيْ : هو المحمود على ذلك ، كما تقول : فعلت هذا بحمد اللّه وصلينا بحمد اللّه ، أيْ : بفضله وإحسانه الذي يستحق الحمد عليه ، وهو يرجع إلى الأول ، كأنه قال : نحمدنا للّه ، فإنه المستحق لأن نحمده على ذلك ، وإذا كان ذلك بكونه المحمود على ذلك ، فهو المحمود على ذلك ؛ حيث كان هو الذي أمر بذلك وشرعه ، فإذا سبَّحنا سبَّحنا بحمده .

١٧٢ـ كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٤] .

١٧٣ـ وقد يكون القائل الذي قال : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي : بأمره ، أراد المأمور به ، أيْ : سَبِّحه بما أمرك أن تُسَبِّحه به .

١٧٤ـ فيكون المعنى : سَبِّح التَّسبيح الذي أَمَرَكَ به ، كالصلاة التي أمرك بها .

١٧٥ـ وقولنا « صلَّيت بأمر اللّه » و « سبَّحت بأمر اللّه » يتناول هذا وهذا ، يتناول أنه أمر بذلك ففعلته بأَمْرِهِ لم أبتدعه ، وأنِّي فعلت بما أَمَرَني به لم أبتدع .

١٧٦ـ فأمَّا هذه الآية : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ

غُرُوبِهَا ﴾ [طه : ١٣٠] . فلم يذكر البغوي وابن الجوزي إلا أنه الصَّلاة كما ذكرنا .

١٧٧ـ وكـــذلك آية « ق » .

قال ابن الجـوزي : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [ق : ٣٩] أي : صَلِّ بالثناء على ربك والتنزيه عما يقول المبطلون ، فذكر الثناء والتنزيه عما يقول المبطلون تفسيرًا للحمد[1] .

١٧٨ـ فأما البغوي فإنه قال : « فصلِّ حمدًا للَّه »[2] ، وهو ينقل ما ذكره الثعلبي في « تفسيره » / في مثل هذه المواضع ، والثعلبي يذكر ما قاله غيره ، سواء قاله ذاكرًا أو آثرًا ، ما يكاد هو ينشئ من عنده عبارة . / ١٨٧و /

١٧٩ـ وهذه عبارة طائفة ، قالوا : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ : صَلِّ حمدًا للَّه ، جعل نفس الصلاة حمدًا ، كما يقال : أفعل هذا حمدًا للَّه ، أيْ : شكرًا .

١٨٠ـ وهذا بُني على قول مَن قال : ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أيْ بكونه محمودًا ، ثم جعل المصدر يُضَاف إلى المفعول ، وليس

---

(١) « زاد المسير » (٥ / ٣٣٣) .

(٢) « تفسير البغوي » (٧ / ٣٦٤) .

المراد أنَّ الحمد غير التسبيح ، بل نفس تسبيح اللّه هو حمد اللّه .

التسبيح يراد به جنس الصلاة وصلاة النافلة خصوصا

١٨١ـ ولفظ « التسبيح » يُرَاد به : **جنس الصَّلاة**[أ]

وقد يُرَادُ به : النافلة خصوصًا ، فإن الفرض لما كان له اسْمٌ يخُصُّه جعل هذا اللفظ للنافلة .

١٨٢ـ كما في الحديث : « كَانَ رَسُول اللّه ﷺ يُسَبِّح عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ حيث تَوَجَّهت بِهِ »(١)

١٨٣ـ و « كان يُصَلِّي سُبْحَةَ الضُّحَىٰ »(٢) .

١٨٤ـ ومنه ما رواه مسلم في « صحيحه »(٣) عن حفصة قالت : ما رأيت رسول اللّه ﷺ صلَّى في سُبْحَتِهِ قاعدًا حتى كان قبل وَفَاتِهِ بعام . وفي رواية : « أو اثنين »(٤) .

---

(١) البخاري (١٠٩٨) ومسلم (٧٠٠) (٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد (٣ / ١٤٦) والحاكم (١ / ٣١٤) من حديث أنس بن مالكقال : رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلى سُبْحة الضحى ثمان ركعات .. الحديثَ . وصححه الأرناؤوط في تخريج « المسند » (١٩ / ٤٦٩) .

(٣) مسلم (٧٣٣) (١١٨) .

(٤) مسلم (٧٣٣) (١١٨ مكرر) .

[أ] تكررت بالأصل هذه الجملة .

فكان يصلي في سُبْحَتِهِ قَاعِدًا ، وكان يقرأ بالسُّورة فَيُرَتِّلُهَا حتى تَكُونَ أَطْوَلَ من أَطْوَلَ منها .

١٨٥ـ ومنه أيضًا : ما أخرجاه في « الصحيحين »[١] عن عائشة قالت : « مَا رَأَيْتُ رَسُول اللَّه ﷺ يُصَلِّي سُبْحَةَ الضُّحَىٰ قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا ، وَإِنَّ رَسُول اللَّه ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ وَهُو يُحِبُّ أَن يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاس فَيُفْرَض عَلَيهم » .

١٨٦ـ لكن هذا يُوجَد في كلام الصحابة تسمية التطوع سُبْحة خصوه بذلك ، وأما في كلام النبي ﷺ فيحتاج إلى نقل عنه .

التسبيح يراد به جنس ذكر الله

١٨٧ـ ويُرَادُ بـ « التَّسبيح » : **جنس ذكر اللَّه تعالى** .

يقال : « فلان يُسَبِّح » إذا كان يذكر اللَّه ، ويدخل في ذلك التهليل والتحميد ، ومنه سُميت السبَّاحة للأصبع التي يُشِيرُ بها وإن كان يُشيرُ بها في التوحيد .

التسبيح يراد به قول العبد سبحان الله

١٨٨ـ ويُرَادُ بـ « التَّسْبيح » : **قول العبد « سبحان اللَّه »** .

وهذا أخصّ به .

١٨٩ـ وفي « السنن »[٢] : لما أنزل اللَّه تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ

---

(١) البخاري (١١٢٨) ومسلم (٧١٨) (٧٧) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٢٢) .

رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٧٤] قال : « اجْعَلوهَا في رُكُوعِكُم » ولما نزل : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] قال : « اجْعَلُوهَا في سُجُودِكم » .

١٩٠ـ وفي « الصحيحين » [(١)] عن النبي ﷺ قال : « كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » .

١٩١ـ وفي « الصحيحين » [(٢)] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَن قَال [في][أ] يوم مائة مَرّة سُبْحَان اللَّه وَبِحَمْدِهِ ؛ حُطَّت عَنْهُ خَطَايَاهُ ولو كانت مثل زَبَد البَحْر » .

لماذا سميت الصلاة تسبيحا

١٩٢ـ وقد قيل : إنَّ الصلاة إنَّما سُمِّيت تسبيحًا لاشتمالها على التسبيح ، كما سميت قيامًا وقرآنًا لاشتمالها على القيام والقراءة .

وتُسمَّىٰ ركعةً وسجدةً لاشتمالها على الركعة والسجدة ، لكن فرق بين قوله ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ و ﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

فهذه قد فسّرت بالتسبيح المجرّد : قول العبد في ركوعه

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٩) .

(٢) البخاري (٦٤٠٥) ومسلم (٢٦٩١) (٢٨) .

[أ] ما بين المعقوفتين زيادة يستقيم بها السياق .

وسجوده : سبحان ربي العظيم ، سبحان ربي الأعلى ، وبين قوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ .

١٩٣ـ فإن هذا إذا قيل إنَّ المراد : بحمدك ربك أمرٌ بالتسبيح وبالحمد كقوله : سبحان اللّه وبحمده .

١٩٤ـ والمُصَلِّي إذا حَمِدَ ربَّه في القيام أو في القيام والقعود وسبَّح في الركوع والسجود ؛ فقد جمع التسبيح والحمد فسبَّح بحمد ربه / فالصلاة تسبيح بحمد ربه ؛ كما بين النبي ﷺ ذلك .

/ ظ١٨٧ /

تفسير التسبيح بالكلام عند افتتاح الصلاة وعند القيام من المجلس

١٩٥ـ وقد فسَّر طائفة من السلف قوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨] **بالتسبيح بالكلام** .

وذكروا أنواعًا : **التسبيح عند افتتاح الصلاة ، والتسبيح عند القيام من المجلس** .

١٩٦ـ فروى ابن أبي حاتم عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ قال : « إذا أراد أن يقوم الرجل من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك » .

هكذا رواه وكيع(١) .

(١) الطبري (٢٧ / ٣٨) و عزاه في « الدر المنثور » (٧ / ٦٣٧) لابن أبي شيبة .

١٩٧ـ ورواه أبو نعيم وقبيصة فقالا يقول : « سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِه » .

١٩٨ـ وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ قال : « من كل مجلس »[١] .

١٩٩ـ وعن طلحة عن عطاء : ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ : « من كل مجلس إنْ كُنت أَحْسَنْت ازْدَدت خَيْرًا ، وإن كان غير ذلك كان هذا كَفَّارَةً له »[٢] .

٢٠٠ـ وقال طائفة : ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ إلى الصَّلاة .

٢٠١ـ وكذلك : قال الضَّحاك : ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ : « إلى الصَّلاة المفروضة »[٣] .

٢٠٢ـ وكذلك : قال ابن زيد : « إذا قام إلى الصَّلاة مِن لَيْلٍ أَوْ نَهَار »[٤] .

٢٠٣ـ وفي رواية جُويبر عن الضحاك قال : هو قول الرجل إذا

---

(١) عزاه في « الدر المنثور » (٧ / ٦٣٧) للفريابي وابن المنذر .

(٢) « تفسير ابن أبي حاتم » (١٠ / ٣٣١٧) ونقله عنه ابن كثير في التفسير (٤ / ٢٤٥)

(٣) « الطبري » (٢٧ / ٣٨) و عزاه أيضا في « الدر المنثور » (٧ / ٦٣٧) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٤) « الطبري » (٢٧ / ٣٧) .

استفتح الصلاة : « سُبْحَانك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك ، وَتَبارك اسْمُك وتَعَالى جَدُّكَ ، وَلَا إِله غَيْرُك »[(١)] .

٢٠٤ـ وقال أبو الجوزاء : ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ من منامك من فراشك[(٢)]

٢٠٥ـ وعلى هذا فهو أمْرٌ بالصَّلاة إذا قام من فراشه من قائلة النهار فهو أمر بصلاة الظهر والعصر .

٢٠٦ـ ﴿ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ ؛ فسَّرها طائفة بركعتي الفجر[(٣)] .

تفسير قوله ﴿ وإدبار النجوم ﴾ وقوله : ﴿ وأدبار السجود ﴾

٢٠٧ـ وروى ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ قال ابن عباس : « هو التسبيح أدبار الصلاة »[(٤)] .

٢٠٨ـ قلت : لعل هذا تفسير لقوله : ﴿ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ فإنه أنسب .

٢٠٩ـ وقد رُوي عن طائفة من السَّلف : أن أدبار السُّجُود : الركعتان بعد المغرب[(٥)] ، وإدبار النُّجُوم : ركعتا الفجر فإحداهما تشتبه بالأخرى .

---

(١) « تفسير الطبري » (٢٧ / ٣٨) . وجويبر ضعيف .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٢٤٥) وقال « واختاره ابن جرير » .

(٣) منهم ابن عباس وعلي والحسن وقتادة ، وراجع : « تفسير الطبري » (٢٧ / ٣٩) .

(٤) « تفسير الطبري » (٢٧ / ٣٩)

(٥) قال ابن كثير (٤ / ٢٣٠) : « وروي ذلك عن عمر وعلي وابنه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبي أمامة رضي الله عنهم وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم » .

٢١٠ـ فقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [ق : ٤٠] إذا فُسِّر هذا **بالتسبيح دبر الصلاة** كان اللفظ دالا على هذا .

٢١١ـ والسلف الذين فسروها بهذا كأنهم والله أعلم أرادوا أنَّ أول ما يُكتب في صحيفة النهار : ركعتا الفجر ، وآخر ما يُرفع : ركعتا المغرب ، فقد رُوِي : أنهما ترفعان مع عمل النَّهار .

٢١٢ـ قلت : ولفظ التسبيح يتناول هذا كله ؛ منه واجب ، ومنه مستحب .

آخـــــــره

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا



فَائِدَة

قال نصر بن علي حدثني أبي قال : رأيتُ الخليل بن أحمد[١] في النوم فقال : « مَا رَأَيت مَا كنَّا فيه ؟ يعني من النحو واللغة ؛ فإن ربك عز وجل لا يَعْبأُ به شيئًا ما رأيت أنفع من : سُبْحَان اللَّه ، والحمد للَّه وَلا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر » [٢] .

---

(١) أحد أئمة اللغة وواضع علم العروض ت ١٧٠هـ .

(٢) « اقتضاء العلم العمل » للخطيب البغدادي ص (٩٢ - ٩٣) .

الفهارس العامة للكتاب

١- فهرس الآيات القرآنية

٢- فهرس الأحاديث والآثار

٣- فهرس الموضوعات



١- فهرس الآيات القرآنية

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة المؤمنون

سورة الشعراء

العنكبوت

سورة الروم

سورة السجدة

سورة الإخلاص

❁ ❁ ❁ ❁

٢- فهرس الأحاديث والآثار

(*) كل ما وضعت عليه هذه العلامة فهو أثر .





٢- فهرس الموضوعات

❁ ❁ ❁ ❁